ملخص كتاب

"الموقف من الموت للدكتور محمد حقي"

يشكل الكتاب جزءا من أطروحة جامعية قدمت لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ في جامعة محمد الخامس بالرباط (نونبر 2001)، و يعتبر الأول من نوعه في موضوعه. وتمحورت إشكالية الكتاب حول تحديد موقف المجتمع المغربي-الأندلسي من الموت باعتماد كل الإشارات المتناثرة بين صفحات كل أصناف المصادر المتوفرة. ونجح البحث؛ بشهادة لجنة المناقشة والباحثين والقراء بعدها، في سبر أغوار الموضوع بتفوق، ووضع أساس متين لدراسة هذا النوع من الدراسات.

وقارب الكتاب موضوع الموقف من الموت من خلال ثلاثة أقسام تتبعت مدى حضور الموت في حياة الأفراد والجماعات وطبيعة هذا الحضور.

وقد ركز القسم الأول على معايشة المحتضر لموته فأبرز الصورة التي رسمها للموت، وكشف مدى قدرته على التنبؤ بوقت موته يقظة أو مناما، ومحاولاته المضنية للتوبة والتقرب إلى الله بالزيادة من أعمال البر والتصالح مع كل من كان له خلاف معه وإعداد وسائل تجهيزه بالتركيز على عناصر الحلال والقدسية والوساطة والشفاعة، وترك بعض الأعمال الدائمة (صدقات جارية)، وضمان مستقبل من سيتركهم خلفه من خلال الوصايا، وحفر قبره في أحسن المواقع التي تحقق الغايات السابقة.

وركز القسم الثاني على تدخل المجتمع الذي عمل على خدمة الموتى والأحياء على حد سواء، وتناول بالدراسة مشهد الاحتضار ، والغسل، والتكفين، والصلاة، والدفن، والتأبين، وتنفيذ الوصايا، ثم إعداد المقابر. وتتم كل هذه الأمور في جو من الخشوع والاحترام، والالتزام بتنفيذ إرادة الميت، وتقديم المساعدة لأسرته إن كان فقيرا أو غريبا، والحرص على تطهيره معنويا بتلاوة القرآن وترديد أذكار الفقراء في كل المواقف واللحظات.

وخصص القسم الثالث لدراسة المقابر، حيث بدأ بدراسة القبر كوحدة أساسية في المقبرة فأبرز أسس اختياره (القداسة- الشفاعة- القرابة-الصداقة)، وعرف بشكله من خلال البناء والشواهد، ودرس محتويات الشواهد التي لا تبتعد عن الأفكار التي تروج حول الموت، ثم ثنى بالتعرض للمقابر التي حدد أصل أراضيها ومواقعها وتسمياتها وتطورها وتعامل الناس معها ثم مصيرها.

واستخلصت الدراسة أن الموت لازم الناس في حياتهم وصار حاضرا في كل تصرفاتهم لحد الهوس، لذلك استعدوا له ماديا وروحيا بالتوبة والتراجع عن الذنوب وإعداد وسائل التجهيز والدفن وإعداد القبر والمقابر مع كل ما تتطلبه من تقديس وعناية، كما بحثوا عن وساطة كل ما رأوا أنه قادر على توفيرها مع أن هذه المسألة زادت أهمية منذ نهاية القرن 4هـ/10م. واستنتج من هذا أن الناس قد **قبلوا بالموت باطمئنان واعتبروه قدرا محتوما لا حول ولا قوة لهم أمامه**، وبذلوا كل ما في وسعهم للتخفيف من وطأته والفوز بمقام محمود بعده. ويجب ألا ننسى أن القرن 5هـ/11م سجل ظهور ميل المجتمع نحو النفور من الموت والخوف منه، وقد ساهمت في ظهور هذا المنحى حملات الترهيب التي قادها المتصوفة، وتغير نظرة الناس إلى الحياة وتزايد نزعة التمتع بها إلى أقصى الحدود.

في الأخير، فالكتاب محاولة جدية وجديدة في موضوعه وطريقة تناوله، وتأسيسا لفرع جديد في تاريخ المغرب والأندلس، وهو ما يبرر اعتماده في بعض مسالك الماستر في الجامعات المغربية.